القيم الخلقية
وتحقيقها لمصلحة الفرد والجماعة

إعداد

د .عائشة بنت محمد بن سعد القرني

أستاذ مساعد في العقيدة والدعوة

بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز بجدة

بالمملكة العربية السعودية

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. وبعد...

إن الإسلام –وهو دين الفطرة – جاء يوفق بقدر ما في طاقة البشر بين النزعتين الأصليتين: الفردية والجماعية، ويغذيهما معاً، ويجعلهما متساندتين بدلاً من أن تكونا متنازعتين، ولا يعد الإسلام تغذية إحدى النزعتين إساءة إلى الأخرى، أو إسقاطاً لها من الحساب، بل ينظر إليهما معاً، مقرراً حاجة الحياة إليهما بباعث الفطرة التي لا يمكن أن تستقيم بإحداهما دون الأخرى، ولذلك لا يكبت أياً منهما، ويلقي على الفرد والجماعة عدداً من المسئوليات والتبعات، لصياغة الفرد والجماعة على أساس من التوازن، والتعاون الوثيق. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾(١).

أهمية الموضوع:

الأخلاق تشكل أهمية كبيرة في بناء المجتمع الإسلامي ولها دور كبير في تقدم الأمم أو تخلفها؛ فالأخلاق هي السمة الأصيلة في كل جوانب الدين.

سبب الاختيار:

مما شجعني على اختيار موضوع البحث:

١- صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات صلة قوية متينة.

٢- الاضطراب في المفهوم الأخلاقي لدى البعض واعتباره أموراً شخصية.

(١) سورة المائدة: ٢ .

خطة البحث:

المقدمة.

الفصل الأول: الفرد والمجتمع في الإسلام.

المبحث الأول: الفرد في الإسلام.

المبحث الثاني: المجتمع

الفصل الثاني: نماذج قيم أخلاقية

المبحث الأول: العدل.

المبحث الثاني: الرحمة .

المبحث الثالث: الإخاء.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

التمهيد:

القيم الخلقية:

وردت في اللغة العربية كلمة القيم بمعنى الاستقامة، فقيل هو الاستقامة على الطاعة وقيل هو ترك الشرك، تقول أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام. وهي اعتدال الشيء والقوام العدل وبمعنى الاعتدال والتوازن قال تعالى بمعنى الاستقامة والعدل ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1] والقائم بالدين هو المتمسك به والثابت عليه، ولقد ذكر القرآن ١٨ آية في الثبات على دين الله تعالى، وقوام كل شيء ما استقام به[2].

صلة الأخلاق بالعقيدة:

الأخلاق في الإسلام لها صلة وثيقة بالعقيدة الصحيحة من داخل الإنسان. فالإنسان لا يصل إلى الخلق الصحيح إلاّ إذا التزم بالخلق الإسلامي فإذا بدأ بالعقيدة الصحيحة وأثرت العقيدة في قلبه أثرت في خلقه فبذلك (صلة الأخلاق بالعقيدة) (أو علاقة الأخلاق بالعقيدة) هذه الأخلاق هي التي تجعل الأخلاق مرتبطة بالإيمان فالرسول يقول [الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3] فالمنهج الخلقي في الإسلام يبدأ بإرساخ العقيدة الإسلامية في نفس الإنسان وهذا يعتبر أساس في حياة الإنسان. لما سُأل الرسول ﷺ من صحابي قال أوصني فقال له [قل آمنت بالله ثم استقم].

---

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) انظر: معجم لسان العرب لابن منظور ج١٢ صفحة ٤٩٦-٥٠٦.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

مكانة الأخلاق في الإسلام:

نقصد بذلك أهميتها للإنسان ومدى أهميتها أنها وضعت من أجل خير الإنسان لا علاقة للأخلاق لغرض وإنما لتحقيق السعادة له لأن الله كرم الإنسان فهذا تكريم شامل للإنسان من كل جوانبه فوضع الإسلام هذا المنهج الخلقي من أجل تحقيق الخير والسعادة. [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]. ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[1]، فليس من الخلق الفاضل أن يقابل هذا الإحسان بالجحود.

فما دام يحقق المنهج الخير للإنسان فإن ذلك يدفع الإنسان للتمسك بالمنهج الخلقي الصحيح، وعليه التمسك به في الدنيا والآخرة وأول شيء هو بناء الشخصية. فإذا لم يتم الإنسان شخصيته بناءً أُصيب بالازدواجية ومن هنا يبدأ المنهج الخلقي في الإسلام ببناء شخصية الإنسان بناءً سوياً.

(١) سورة القصص:٧٧.

الفصل الأول: الفرد والمجتمع في الإسلام:

يرى الإسلام أن التعاون في المجتمع إنما يقوم على الاختيار بدلاً من الالزام، وهو ليس قاصراً على جانب واحد، ولكنه متعدد الجوانب، ويتحقق فيه التوازن والتعادل بين الغني والفقير، بمعنى انعدام الفجوات القائمة على الشحناء والبغضاء، والحقد والكراهية بين الغني والفقير، ولم تستطع النظم المادية التي تقوم على النزعة الجماعية، وسحق الروح الفردية –بالسطوة والقوة والإلزام– أن تنزع البغضاء والكراهية من نفوس الأفراد لتحقيق الروح التعاونية المنتجة في المجتمع، بل أنها –على العكس من ذلك– دمرت هذه الروح وقضت عليها، حين أقامت العلاقات الاجتماعية –بالتربية السيئة والقهر القانوني– على قاعدة الحقد والكراهية والبغضاء، فلم ينعدم التعاون في تلك المجتمعات فحسب، بل اعتبرته تلك الأنظمة آفة من آفات المجتمع، لأنه ينبثق من الضمير الذي لم يبلغ الدرجة المطلوبة من الوعي والنضج، وهي تعني بذلك أن يظل الضمير الإنساني مشحوناً بالمقت والحق ضد الروح الإنسانية، ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، حتى يُعد لديها واعياً ناضجاً[1].

إن مكارم الأخلاق ضرورة دينية واجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات والأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية[2].

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية. عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة ص٢٢٧، معالم في السلوك وتزكية النفوس: عبد العزيز عبد اللطيف. دار الوطن للنشر، ص١٩.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، بيروت، دار القلم، ص٢٩.

المبحث الأول: الفرد في الإسلام:

نظرة الإسلام للإنسان:

الإنسان كرمه الله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾(١).

١- أمر الله للملائكة أن يسجدوا لآدم.

٢- جعل هذا المخلوق خليفة في الأرض.

٣- اختصه الله بقبوله للتعلم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾(٢).

٤- كرمه بالعقل.

٥- كرمه بأن أرسل الرسل.

٦- كرمه بإرسال الكتب.

٧- ثم وضع منهجاً خلقياً وهذا يدل على أن الإنسان بحاجة لمنهج خلقي في الإسلام.

فنظرته للإنسان متكاملة من الجانب المادي والمعنوي والمعنوي هو الخلقي وبدونه لا يساوي شيء. ويقاس بأخلاقه وأعماله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٣). والنداء في بداية الآية نداء عام، والمنهج الأخلاقي صالح لكل زمان ومكان. يقول النبي ﷺ [إن الله لا ينظر إلى صوركم وإلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم](٤).

ويقوم المنهج الخلقي على النظرة للإنسان. ويقوم هذا المنهج على تقوى الله وعلى الاستقامة ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾(١). ولا تتحقق

(١) سورة ص: ٧١.

(٢) سورة البقرة: ٣١.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) رواه مسلم صحيحه، كتاب البر.

(١) سورة الشورى: ١٥.

الاستقامة إلاّ بالمنهج الخلقي. ويبدأ هذا المنهج عندما يبدأ المعلم والمربي.

تقديم المنهج الخلقي للطفل:

يستطع الأب والأم تقديم المنهج الخلقي، عندما يتربى الأب والأم على المنهج الخلقي للإسلام. فإذا تأثروا بمنهج خلقي يستطيع بعد أن يفقه منهج خلقي. ومن هنا يتبين لنا دور الوالدين في بناء الشخصية الإسلامية.

إن المنهج الخلقي هو جوهر الدين، ليست الأخلاق في الإسلام من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحتويها وهي أساس الإسلام وبدونه لا يستطيع التعامل مع الناس ولا التفاهم معهم ما لم يرتبط بهذه الأخلاق.

المنهج الأخلاقي في الإسلام ومكارم الأخلاق في الإسلام ضرورة اجتماعية لا يُستغنى عنها – لا مع الفرد ولا مع الجماعة فكيف تكون الثقة بين الناس لولا فضيلة الصدق وكيف يتم التعامل بين الناس لولا فضيلة الأمانة. ولا يستقيم الإنسان إلا بالتزام هذا المنهج الأخلاق في إخلاصه وصدقه وصبره وأمانته وحياءه ووفاءه ورحمته وعفته.

أ- الفرد هو هذا الإنسان الذي خلقه الله، وفضّله على كثير من خلقه، وسخر له ما في السموات والأرض، وكرمه أعظم تكريم، وخلقه في أحسن تقويم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه، وحمله الأمانة الغالية، وأكرمه بالفطرة الطيبة وأعده أكمل إعداد وأوفاه، وأمره أن يعبد الله وحده لا شريك له، عبادة خالصة يؤدي بها شكر ربه ويبتغي ثوابه ورضاه.﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ

ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[2].

ب- إن الإسلام بهذا قد كرم الفرد الإنساني كرامة رائعة ينالها منذ تكوينه جنيناً في بطن أمه، وهي كرامة ينشرها منهج الإسلام على كل فرد من البشر، ذكراً كان أو أنثى، أبيض أو أسود، ضعيفاً أو قوياً، فقيراً أو غنياً، كما يصون منهج الإسلام دم الإنسان أن يسفك، أو عرضه أن أن ينتهك، وما له أن يغتصب، ومسكنه أن يقتحم، ونسبه أن يُبدل، ووطنه أن يخرج منه أو يزاحم عليه، وضميره أن يتحكم فيه قسراً، وتعطل حريته خداعاً ومكراً[3].

جـ- وإذا كانت الكرامة الإنسانية -كما قررها منهج الإسلام- سياجاً لحرمة الإنسان وحصانة له، وحفظاً لحقوقه، فإنها -من ناحية أخرى- روح تحمل الإنسان على أن يعرف في هذا الوجود مكانته التي بوأه الله إياها، ووظيفته التي كلفه بها، ويقتضي ذلك منه أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصيلة، وفطرته الطيبة النقية، فلا يهبط، ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء... بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والإنتاج، دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء.

د- يقوم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان على حقيقة أن كل شيء يخضع لله عز وجل، وينقاد لأمره ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦﴾[4]. فالإنسان -وفق هذا التصور- مكلف بحكم ما أودع الله فيه من الفطرة، وما ميزهُ به من العقل، أن يصبغ حياته كلها وفق

(١)سورة الذاريات: ٥٦-٥٨.

(٢)سورة الانفطار: ٦-٨.

(٣)لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة ا لخطيب، ص٢٣٣.

(٤)سورة الروم: ٢٦.

مقتضى هذه الحقيقة، بحيث يحقق في حياته معنى الطاعة الكاملة لله، والانقياد التام لأمره، والإذعان لحكمه، فإذا انسجم بكل ملكاته وطاقاته مع هذا اليقين، واتجه بصدق وإخلاص نحو هذه الغاية، كان مؤمناً حقاً، والمؤمن الحق هو الفرد الصالح النافع، الذي يحسن إلى نفسه وإلى الناس(١).

هـ- لقد اعتد الإسلام في تكوين شخصية الفرد كل الاعتداد ببنائه الخلقي كاعتداده بكيانه الخلقي ليجمع في الشخصية المثالية قوة البدن إلى قوة الروح والعقل، ولما لهذا التركيب الجسماني من أهمية في الاضطلاع بشأن الأعمال والقيام بأثقل الأعباء سواء فيما يتعلق بأعمال الصناعات الثقيلة، أو مخاطرات الاستكشافات والبحوث العلمية نظرية كانت أو تجريبية، أو العمليات العسكرية على اختلاف أنواعها وتعدد طرقها(٢).

(١)انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب، ص٢٣٥.

(٢)انظر: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د. محمد بيصار، بيروت: دار الكتب اللبناني، ص٧٥.

المبحث الثاني: المجتمع في الإسلام:

إن المجتمع يحتل أفراده في تكوينه الأهمية التي تحتلها أجزاء أي كائن حي في كيانه الذاتي وتقوم أفراده في محيطه بالوظائف الهامة. فتوعية المجتمع والسمو بصوره وحده لا يكفي ما لم يدعم ذلك بتوعية الفرد وتزويده بكل ما يهيئه للقيام بدوره في هذا المجتمع. ولهذا السبب نفسه كانت عناية الإسلام بالفرد، كخلية حية من خلايا جسم المجتمع كله، إذا صلحت صلح وإذا فسدت فسد.

وتكوين شخصية الفرد يتطلب العناية بقيادته الفكرية (العقل) وصيانتها من كل ما يلحق بها، أو يؤثر تأثيراً -ولو طفيفاً- في قدرتها على التمييز بين الحق والباطل في المعتقدات، والخطأ والصواب، والضار والنافع في التصرفات، قولية كانت أو عملية[1].

تنطلق صياغة المنهج الإسلامي للمجتمع من حيث المبادئ والغايات، والروابط والأخلاق، والمثل والتشريعات، من حقيقتين أصليتين راسختين، تنبثق عنهما وتتحرك بهما، وتتأثر بإيحائهما، وتستنير بهديهما، كل المسائل والقضايا المتصلة بالمجتمع، على أي مستوى كان، وفي أي زمان ومكان، بحيث لا تقوم مشكلة إلا وتجد الحل الناجح الحاسم، ولا ينشب خلاف إلا وينتهي بالوفاق والوئام، وتسود الطمأنينة ويعم الرخاء وينتشر السلام. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2].

واتحدت مع طبيعة الأصل والنشأة تلك الفطرة التي فطرهم الله عليها، وتلك الاستعدادات التي أودعها الله فيهم، فهم من حيث علاقتهم بما في هذه الحياة من متع وزينة؛ إنما يصدرون عن حب لها وتطلع إليها. قال تعالى: ﴿زُيِّنَ

(١) انظر: العقيدة والأخلاق. د. بيصار. ص٢٣٥.

(٢) سورة ص: ٧١.

لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[1] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2].

وهاتان الحقيقتان هما:

أ- **وحدة الأصل:** فالبشر جميعاً ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة، وإذا اختلفوا جنساً ولوناً ووطناً، فلا ينبغي أن يكون اختلافهم الذي اقتضته حكمة الله عز وجل لعمارة الأرض بهم، عائقاً عن مشاركتهم الإيجابية في هذه الوظيفة الإنسانية، التي يفرض أداؤها على الوجه الصحيح، -التعارف فيما بينهم، والتعاون الخير البناء- وهذا هو المعنى الإنساني الأصيل الذي يقرره منهج الإسلام، وتغذيه توجيهاته وقواعده وأحكامه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[3] وإذا كان الناس قد خلقوا - كما يقرر منهج الإسلام - من نفس واحدة فإن الوحدة الإنسانية فيما بينهم، متحققة أتم تحقق في خصائصهم الإنسانية، التي أودعها الله فيهم.. فهم لا يختلفون من حيث أصل النشأة، فقد خلقهم الله من التراب فاتحدت بذلك طبيعتهم.. ومن شأن وحدة الطبيعة فيهم، أن توجه طاقاتهم لما يحقق النفع والخير لهم.

ب- **وحدة العقيدة:** ومحور هذه الحقيقة هو تلك الصلة التي تجعل البشر جميعاً عباداً لله عز وجل، وعقيدة التوحيد هذه تؤكد أن رسل الله عز وجل قد جاؤوا جميعاً بذلك الدين وهو (الإسلام): ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) سورة الشمس: ٧.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٤].

وبهذا يتبين أن المجتمع الذي يصوغه الإسلام، هو المجتمع الذي يقوم على وحدة الأصل ووحدة العقيدة، وما ينبثق من هذه الوحدة من المبادئ السامية والغايات النبيلة، والأخلاق الفاضلة، والضوابط المحكمة، والروابط الوثيقة.. التي تجعل من هذا المجتمع الإنساني الكبير النموذج الذي تتشكل على صورته الفذة الوحدات الاجتماعية الأخرى التي يقتضي العمران البشري قيامها، ضمن حدود مكانية وزمانية معينة، فإذا ما قامت هذه المجتمعات على جوهر هاتين الحقيقتين؛ لم تكن الأوضاع الخاصة والأشكال التي تقتضيها الاعتبارات، عاملاً من عوامل الفرقة والخلاف، بل دعماً للحقيقتين الأصليتين وإغناءً لهما، وتطبيقاً لما تقرراه من المعاني الإنسانية التي يتحقق بها للبشر الخير والعدل والسلام[١].

(١)انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب، ص٢٣٨.

الفصل الثاني: نماذج قيم خلقية تحقق مصالح الفرد والمجتمع:

إن القيم الخلقية الأساسية لبناء المجتمع كما جاءت في الكتاب والسنة هي قيم ثابتة منبثقة عن عقيدة صحيحة وتستند على أساس متين هو الإيمان بالله، الذي جعل اعتناقها ديناً يثاب فاعلها ويعاقب تاركها لتجعل من الفرد المسلم الملتزم بتلك القيم نموذجاً للفرد الفذ والإنسان الاجتماعي التقي النقي الخلوق المهذب، ولتبني مجتمعاً إسلامياً فريداً من نوعه.

إن رقي المجتمعات لا يقاس بما حققت من إنجازات أو اكتشفت من مخترعات فقط بل بسيادة القيم الإنسانية فيها من عدل ومساواة وحب وإخاء وبذل وإيثار واستقامة ونظافة في السلوك والمعاملات. ومن أهم هذه القيم الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الزمان والمكان، العدل والرحمة والإخاء والصبر ونتناول في المباحث التالية هذه الصفات الخلقية.

المبحث الأول: العدل:

إن موضوع العدل في الإسلام من المواضيع الأساسية التي لا يمكن التهاون فيها فالآيات الكثيرة التي أمر الله فيها بالعدل تتسم بالجدية والحزم، فيأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بإقامة العدل فيقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾(١)

* **العدل لغة:** "ضد الجور وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحدة وهذا اسم للجمع". العدل ضد الجور، يقال عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومَعْدِلَتَه –بكسر الدال وفتحها– وفلان من أهل المَعْدَلَة –بفتح الدال–، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة(٢).

* **اصطلاحاً:** تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء، إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أنها: ملكة أي صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة.

والتقوى ضابطها: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً، وباطناً من شرك أو فسق أو بدعة. والمروءة ضابطها، آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل. وترجع معرفتها إلى العرف. وليس المراد بالعرف هنا سيرة مطلق الناس بل الذين نقتدى بهم(٣).

- هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله –سبحانه وتعالى– وسنة

(١)سورة النحل: ٩.

(٢)انظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز أبادي، (١٣/١).

(٣)انظر: عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (١٦/١).

رسوله ﷺ لا الحكم بالرأي المجرد. وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم. وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه. وقال الجرجاني: العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور دينا(١).

من الأدلة الواردة عن العدل في القرآن الكريم:

١- وللحث على العدل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(٢). العدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القضاء ونواب القاضي. وخص الله إيتاء ذي القربى –وإن كان داخلا في العموم– لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك(٣).

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾(٤) "هذا متضمن لنهي المؤمنين، عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً،

---

(١)انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح عبد الله حميد (٢٧٩٢/٧).

(٢)النحل: ٩٠.

(٣)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، (٤٤٧/١).

(٤)سورة الحجرات: ٩.

وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح. وأمر بالصلح، وبالعدل في الصلح"(١).

٣- يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(٢).والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به(٣).

٤- قال تعالى: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾(٤) أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم لحصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض.﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: اجعلوه قائما بالعدل، الذي تصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوه وتعملوا بضده، وهو الجور والظلم والطغيان(٥).

من الأدلة الواردة عن العدل في السنة النبوية الشريفة:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، (٨٠٠/١).

(٢)سورة النساء: ٥٨.

(٣)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، (١٨٣/١).

(٤)سورة: الرحمن: ٨-٩.

(٥)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، (٨٢٨/١).

ولوا"[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[٢].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل، كان له بذلك أجر، وأن يأمر بغيره كان عليه منه"[٣].

٤- عن النعمان بن بشير قال: "تصدق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ. فأنطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد على صدقتي فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم فرجع أبي فرد تلك الصدقة"[٤].

والعدل أن تعطي الآخر حقه كاملاً غير منقوص، فالحكم بين الناس يحتاج إلى الإحسان، ولذا فإن الله عز وجل أمر بالعدل والإحسان،

---

(١)رواه مسلم: كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٢١١/١٢)، ح (١٨٢٧).

(٢)رواه مسلم: كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة (١٢١/٧، ح(١٠٣١).

(٣)رواه مسلم: كتاب الإمارة – باب الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به (٢٣٠/١٢)، ح (١٨٤١).

(٤)رواه مسلم: كتاب الهبات – باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (٦٧/١١)، ح (٣٠٦٣).

وبمقدار التطبيق الحقيقي للعدل يقاس رقي المجتمعات وتخلفها وصلاحها وفسادها.

العدل في ظل الشريعة الإسلامية هو العدل الرباني، العدل الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بالأغراض الشخصية ولا المصالح. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[1].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين في الآية أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يميناً أو شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه شهداء لله ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾.

"فالإسلام يوجه المسلم أن يكون موضوعياً في أحكامه بعيداً عن الهوى والعصبية مطبقاً للعدل الرباني الذي لا يتأثر بالعوامل النفسية إنها أمانة القيام بالقسط على إطلاقة، حسبة لله وتعاملاً مباشراً معه وتجرداً من كل ميل ومن كل هوى ومن كل مصلحة ومن كل اعتبار"[2].

إن النفس البشرية لا ترتقي هذا المرتقى قط إلا حين تتعامل في هذا الأمر مباشرة مع الله، وما من اعتبار من اعتبارات الأرض كلها يمكن أن يرفع النفس البشرية إلى هذا الأفق غير القيام لله.

ولقد قامت هذه الأمة بهذه المهمة فحققت معنى العدل في واقع الأرض واقعاً لم تشهد البشرية مثله، فقد ضرب لنا المسلمون أروع الأمثلة ابتغاء مرضاة الله، ونقل لنا التاريخ صوراً منها تقف البشرية أمامها ذاهلة عاجزة وكأنها أساطير، والسيرة النبوية، وسير الصحابة رضوان الله

(١)سورة النساء: ١٣٥.

(٢)في ظلال القرآن . سيد قطب. ج٢، ص٧٧٤.

عليهم حافلة بها، ومما وعاه التاريخ وقفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بجانب خصمه اليهودي الذي سرق درعه أمام القاضي الذي لم يمنعه إكباره وإجلاله لأمير المؤمنين أن يطلب منه البينة على سرقة اليهودي درعه، ولما لم يجد أمير المؤمنين البينة حكم القاضي لليهودي على أمير المؤمنين(١).

(١)انظر: أخلاقنا في الميزان، د. فاطمة نصيف. دار المحمدي، ص٦٦.

المبحث الثاني: الرحمـة:

الرحمة من الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى الرحمن وهو الرحيم وقد وصف نفسه بهاتين الصفتين في مواضع عديدة من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٢]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣]، فمن أخلاق الداعي الداعي الضرورية: الرحمة[٤]، وقبل أن أبين مفهومها، أذكر ما ورد في السنة النبوية.

عن أسامة قال: قال ﷺ: (لا يُرحم من لا يرحم الناس)[٥]، وعنه أيضاً قال: قال ﷺ (إنما يرحم الله من عبادة الرحماء)[٦]، ومن صفات وأخلاق المصطفىﷺ، رحمته وشفقته على أمته قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾[٧] ولم يكتف الإسلام برفع العذاب وإزالة أسباب الشقاء عن البشر فقط بل جاءت الرحمة شاملة لكل كائن حي يمكن أن يشعر بالألم والعذاب وهذا مما يميز الرحمة عن غيرها من الفضائل الخلقية التي تتخذ الإنسان موضوعها: فما

---

(١)سورة الفاتحة: ١، ٢.

(٢)سورة الرعد: ٣٠.

(٣)سورة الزخرف: ١٧.

(٤)مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، يحي المعلمي ص (١٩٥-١٩٧)، (بتصرف).

(٥)رواه ابن حجر فتح الباري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، (١٥٢١/١٠).

(٦)رواه ابن حجر فتح الباري: كتاب الجنائز، باب يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (١٥١/٣).

(٧)سورة التوبة: ١٢٨.

هي الرحمة لغة، وما هي حقيقتها وتعريفها، وما هي مستوياتها والأدلة عليها من الكتاب والسنة.

الرحمة لغة:

الرقة والمغفرة، والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، تكن حقيقة الرحمة في كونها رقة في القلب، وعاطفة جياشة، وحساسية في الضمير، ورهف في الشعور، تدعو صاحبها إلى بذل المعروف وإغاثة المحتاج، ومنع التعدي والبغي. والرحمة هي الرقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، وهي التعبير الخلقي العملي عن تعاطف الإنسان مع أخيه المسلم حينما يواجه الألم أو المرض أو حين يقع في مأزق أو مصيبة وتعتبر الرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة تبعث على بذل المعروف وهي خلق إنساني كريم تصدر عن قلب رقيق شفاف مليء بالحب والرأفة، تدفع الإنسان إلى مشاركة الآخرين في أفراحهم وأحزانهم تستهدف الرأفة بالآخرين والعطف عليهم وكفكفة دموعهم وأحزانهم وآلامهم.

يتلخص من ذلك أن الهدف من هذه الصفة الكريمة والخلق النبيل هو دفع الإنسان إلى بذل الخير وادخال المسرة على الآخرين، ورفع سبب العذاب والشقاء عنهم وهذا لا يتم إلا إذا صدر عن قلب رقيق وشعور كريم فياض، وعاطفة إنسانية نبيلة(١).

الداعي لابد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم والنصح لهم. ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك

(١)انظر: الأخلاق في الإسلام، د. كايد قرعوش ص (٢٢٨-٢٢٩).

إليهم أيضاً. إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص على إبعادهم عن الهلكة ويتعب نفسه في سبيل ذلك، وأية هلكة أعظم من الضلال والتمرد على الله؟ والداعي بدعوته إنما يسعى لتخليص المتمردين العصاة من الهلاك المحقق والخسران المبين، الداعي الرحيم لا يكف عن دعوته ولا يسأم من الرد والاعراض لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضه من بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن اقناعهم وإرشادهم.

والرحمة قد تكون في الكف عن الحاق الضرر بالآخرين وتجنب إيذائهم وتعذيبهم وقد تكون بالسعي لكشف الضر عنهم فهي في الأولى واجبة إلا أنها ذا قيمة محدودة جدا لأن الرحمة بهذا المعنى لا تقوم بأي عمل إيجابي غير. والرحمة في الثانية فهي عمل إيجابي غيري وهو مندوب ويستحق اسم الفضيلة فهي تعلو وتهبط في نفس صاحبها تبعاً لمقدار العطاء والجهد الذي تقدمه"[1].

الرحمة صفة من صفات المؤمنين بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[2]، رحم الإنسان انسانا، أي عطف وحنا عليه إذا وجده في حالة تستدر عطفه وحنانه، وبذلك يدعى رحيماً، والرحمة تكمن في أعماق النفس البشرية حتى إذا ما تم تفعيلها حولت النفس ككل إلى خلق أخر، حيث يلين قاسيها فتفيض بالخير والعطف واللطف والعون والمساعدة والمساندة للآخرين. والرحمة لا تقتصر على الانسان فقط بل جميع مخلوقات الله. "روى

(١)الأخلاق في الإسلام، د. كايد قرعوش ص(٢٢٩).

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بين حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن فقال: أن لي عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يرحم لا يرحم)[٣]، تناول الإسلام في الحض على الرحمة مبدأ التكافل الاجتماعي فالرحمة تعالج سائر العلاقات الانسانية فتعمل على تحريرها من قسوة الهجر والخصام، وتتسع الرحمة إلى إبعاد هائلة حتى تصل إلى الإنسان في وقت هو في أشد الحاجة فيه إلى الرحمة والعطف.

(٣) رواه مسلم، كتاب بشرح النووي، (٧٧/١٥).

المبحث الثالث: الإخـــاء:

يتميـز المجتمـع الإسـلامي بـسيادة شـعور المحبـة والإخـاء فيـه، ذلـك أن رابطـة الأخـوة فـي الله تقـوم علـى عقيـدة إيمانيـة راسـخة قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١). فـالأخوة فـي الله مـن أوثـق روابـط النفـوس وأمـتن عـرى القلـوب وأسـمى صـلات العقـول والأرواح، لأن الأخـوة الإيمانيـة جـزء لا يتجزأ من العقيدة التي تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم.

ومن الخصال الضرورية في اختيار الأخوة:

-أن يكون مسلما متمسكاً بدينه عاملاً بمقتضاه.

-أن يكـون متخلقـاً بـأخلاق الإسـلام محافظـاً علـى مكـارم ومحاسـن الـشيم والأخلاق.

-أن يكـون نظيـف الـنفس مـن أدران الـنقص(٢) بعيـداً عـن الرذائـل مستقيماً كما يريد الله ورسوله ﷺ.

-أن لا يكون حريصاً على الدنيا.

الأخـوة فـي الإسـلام هـي أخـوة فـي الله، علـى مـنهج الله، لتحقيـق مـنهج الله، فهـي أخـوة تنبثـق مـن التقـوى والإسـلام وهـي ركيـزة أساسـها الاعتـصام بحبـل الله، أي عهـده ومنهجـه ودينـه، وليـست مجـرد تجمـع علـى أي تـصور آخـر وعلـى أي هـدف آخـر ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(٣) هـذه هـي الأخـوة المعتـصمة بحبـل الله نعمـة امـتن الله بهـا علـى الجماعـة المسلمة الأولى.

فيحـرص الإسـلام علـى صـيانة روح الأخـوة الإيمانيـة والتوجيهـات النبويـة تزكيهـا وتنميهـا، فتجعـل مـن مـستلمزمات الإيمـان أو يحـب المـؤمن لأخيـه

---

(١)سورة الحجرات: ١٠.

(٢)الأخوة، جاسم الياسين، ص١٠.

(٣)سورة آل عمران: ١٠٣.

ما يحب لنفسه – قال عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال: لجاره ما يحب لنفسه" (١).

وكلما ارتقى المسلم في درجة محبته لإخوانه كلما ارتفعت درجته عند ربه ونال محبته ورضاه، فقد ورد عنه ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله – منهم (رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه)(٢).

فالمجتمع الإسلامي الذي أسس على المحبة والأخوة في الله مجتمع سعيد قوي غني لأن المحبة هي أنجح وسيلة إلى تهذيب الأخلاق وتكميل النفوس، وهي سر الله المخزون الذي تشفى به الأدواء، والترياق الذي تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية، وهي أنجح وسيلة لاقتلاع شجرة الشر من النفوس، وإبادة أنواع الفتن من العالم، وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء وسارت بهم أسرع ما تكون في طريق الارتقاء. فالإسلام شديد الحرص على أن يحفظ للمجتمع وحدته وتماسكه وقوته وترابطه ومودته، فيعيش الناس فيه أخوة متحابين معاونين تلفهم الرحمة وتربطهم المودة.

كما قال عليه الصلاة والسلام مؤكداً على الأخوة ومبيناً بعض حقوقها: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)(٣). فمناصرة المسلم واجبة على المؤمن وأن يأخذ بيده إذا رآه في ضيق وشدة، ثم نبه إلى عدم ا حتقاره بقوله: "ولا يحقره" وفي الحديث الآخر قال ﷺ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه)(٤)، وكأن الذي تسوّل له نفسه بالاستعلاء

(١)رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/٢).
(٢)المرجع السابق، (١١٤/١٦).
(٣)مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٢٠/٧).
(٤)المرجع السابق، (١١٤/١٦).

على أخيه المسلم واحتقاره قد خرج من كل خير وانغمس في كل شر ورذيلة، وباء بغضب الله بل إن الرسول الكريم أعطى للمسلم حرمته فلا يجوز لأحد الاعتداء عليه بأي نوع من الاعتداءات فقال: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[١].

لقد حذر الرسول ﷺ من التقصير في حقوق العباد، وبيّن وبال ذلك على الفرد ليكون ذلك زاجراً له ورادعاً عن هذه الرذائل وأمثالها حفاظاً على المجتمع وتماسكه، والأخوة وترابطها والمحبة ونقائها، قال عليه السلام: (أتدرون من المفلس؟ "قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، فطرح في النار)[٢] فهذه العبادات كلها والتي جاء بها لم تنجيه يوم القيامة، أو تكفر عنه ظلمه للناس وتقصيره في حقوقهم.

إن التعليمات والتوجيهات التي وردت عنه صلى الله عليه وسلم لحماية هذه القيمة الخلقية العظيمة (الإخاء) والتي يقوم عليها المجتمع الفاضل كثيرة لا يكفي هذا البحث لعرضها، وإنما أكتفي بما أشرت إليه لأبين أهمية العيش في ظلال الأخوة والمحبة والإيثار، لأن الحياةفي ظلالها حياة رائعة ممتعة وجميلة[٣].

كانت هذه من أبرز القيم والمبادئ الثابتة التي تحقق مصالح الفرد والجماعة ويقوم عليها المجتمع الإسلامي.. وغيرها كثير فاضت بذكرها

(١)المرجع السابق، (١١٤/١٦).

(٢)المرجع السابق، (١٣٥/١٦).

(٣)أنظر: أخلاقنا في الميزان، د. فاطمة نصيف، ص٧١.

الآيات القرآنية الكريمة والأحايث النبوية الشريفة.

ثمرات الأخوة:

يترتب على الأخوة فوائد وثمرات يجتنيها من يحب في الله ويبغض في الله وهي:

١- أنه يتذوق حلاوة الإيمان فيحيا حياة السعداء.

٢- أنه يحيطه الله تعالى برحمته ويقيه شدائد يوم القيامة.

٣- أنه ينال الأمن والسرور ويعد في صفوف السبعة الذين يظلهم الله برضوانه وإحسانه وظله يوم القيامة.

٤- أنه يستشعر زيادة محبة الله ورسوله ويجد حلاوتها في قلبه.

٥- أن زيادة درجات الجنة بجوار منازل الأبرار، هي في صدق الإخاء في الله.

٦- أن المتحابين في الله قلوبهم مطمئنة آمن من الأهوال تتلألأ وجوههم نوراً وسروراً يوم القيامة.

٧- أنها من بشائر الأعمال الصالحة الموصلة إلى قبول الله تعالى الدالة على الهداية والنجاح.

٨- إن لمتحابين في الله، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة.

٩- أن الحب في الله يدل على كمال الدين وصفاء السريرة.

١٠- الاخوة تعين على طاعة الله تعالى .

١١- الأخوة تكافل نفسي وإحساس بحاجات الأخ.

١٢- الأخوة أنس ومحبة وتكاتف.

المبحث الرابع: الصبـــر:

الصبر من أفضل الخصال وأجلها وأعظم ما يتقرب به المسلم عند ربه تبارك وتعالى فينال الأجر في الدنيا والجنان في الآخرة، وكان واجباً على المسلم أن يصبر على ما يلاقيه من شدائد ومصائب ويحتسب صبره على الله وأن يعلم يقيناً أن بصبره سوف يبلغ ما يتمنى في حياته الدنيا والآخرة.

الصبر في اللغة:

الحبس والمنع، وهو ضد الجزع، ويقال: صبر صبراً: تجلَّد ولم يجزع، وصبر: انتظر، وصبّر نفسه: حبسها وضبطها، وصبر فلاناً: حبسه، وصبرت صبراً: حبست النفس عن الجزع، وسُمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح[1]، وحقيقة الصبر: "هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها، وهو: حبس النفس عن الجزع. التصبُر: تكلف الصبر، والصبر بكسر الباء الدواء المر، وهو عصار شجر مر، وأصبره: أمره بالصبر، وشهر الصبر: شهر الصوم"[2].

ويعرفه الغزالي بأنه: عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة الهوى، وهذا التعريف هو أدق التعريفات السابقة لأن باعث الهوى قد يدفع الإنسان إلى الخمول والتكاسل في اداء الطاعات أو إلى فعل المحرمات والتسخط والجزع على أقدار الله فيقاوم باعث الدين.

فالصبر هو حمل النفس على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات، وتقبل

(١)انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: لابن القيم، ص٢٩.

(٢)مختار الصحاح: محمد عبد القادر الرازي، ص٣٥٤.

البلاء برضا وتسليم، قال رسول الله ﷺ (ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وغنه ليعافيهم ويرزقهم) [1]،"ولنعلم أن اصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، وباعث الدين هو ما هُدي إليه الإنسان من معرفة الله ورسوله ﷺ وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضاها.

والصبر من أهم خصال المؤمنين القانعين بعطايا الله الحامدين في السراء والضراء، فلابد أن نعرف حكم الصبر في شرعنا الحنيف، ذكر ابن القيم أن الصبر واجب بإجماع الأئمة، وله عدة أقسام:

- **القسم الأول:** صبر واجب: مثل الصبر على الواجبات والصبر على المحرمات.
- **القسم الثاني:** صبر مندوب: كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.
- **القسم الثالث:** صبر محرم: كالصبر على المحرمات: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت.
- **القسم الرابع:** صبر مباح: وهو الصبر عن كل فعل خُير بين فعله أو تركه[2].

أولاً: معرفة طبيعة الحياة الدنيا:

لعل أقرب أمر يساعد الإنسان على الصبر هو معرفة الحياة الدنيا وما هي حقيقتها وأنها دار بلاء وتكليف، لذلك فالكَيس الفطن هو من لا يفاجأ بكوارثها، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[3] ولنعلم

(١)رواه البخاري: كتاب صحيح البخاري – باب الصبر على الأذى (٥٢/١٩) ح(٥٦٣٤).

(٢)أنواع الصبر ومجالاته – مفهوم، أهميه، وطرق، في ضوء الكتاب والسنة. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص(١٨) بتصرف.

(٣)سورة البلد: ٤.

العبد الصالح أنه لو فتش العالم لم يجد إلا مبتلى: إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نائم، وظل زائل، وسحابة صيف، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً أساءت دهراً، وإن منعت قليلاً، منعت طويلاً.

ثانياً: اليقين بحسن الجزاء عن الله تعالى:

لو علم الجزاء الذي ينتظره عند عودته لله تعالى، وما أعده الله للصابرين من جزيل العطايا والكرام والعوض منه سبحانه فإنه لا شك يتصبّر ويرضى بما قدره الله.

ثالثاً: الاستعانة بالله تعالى:

فإن العبد إذا استعان بالله، فإنه يُطمئن قلبه، وتملأ السكينة جميع جوارحه.

رابعاً: التأسي بأهل الصبر:

إن التأمّل في سِير الصابرين، وما لاقوه من ألوان الشدائد، وما ذاقوه من صنوف البلاء يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي. ومنها حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذكر قصص الأنبياء والصالحين تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، وتثبيت القلوب في مواجهة البلاء والفتن.

خامساً: الإيمان بقضاء الله وقدره:

لابد أن يعلم الإنسان علماً يقيناً أن كل ما يصيبه هو بقضاء الله وقدره، سواءً كان حلواً أو مراً، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وليعلم أن جميع هذه الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لا

ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على ضرره لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

طرق تحصيل الصبر عن المعاصي:

أولاً: علم العبد بقبحها ورذالتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا.

ثانياً: الحياء من الله سبحانه؛ فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، وأنه بمرأى منه ومسمع منه سبحانه، استحيي من ربه أن يتعرض لسخطه.

ثالثاً: مراعاة نعمه عليه وإحسانه إليك؛ فإن الذنوب تزيل النعم ولابد فما أذنب عبدٌ ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه أو مثلها.

ولنعلم ان الصبر ذُكر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ولكل موضع أمراً يدل على ذلك، وقد تم ذكره في ١٠٣ مواضع مختلفة واذكر بعض منها:

١- قال تعالى: في أمره بالصبر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١].

٢- قال تعالى في إن الصبر من أهم عوامل النصر ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾[٢].

٣- محبة الله لهم قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣].

---

(١)سورة البقرة: ١٥٣.

(٢)سورة آل عمران: ١٢٥.

(٣)سورة آل عمران: ١٤٦.

٤- وأما عن نتائج الصبر في اليوم الآخر فقد وردت في أكثر من موضع في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾(٢)، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾(٣).

آثار القيم الخلقية على الفرد والمجتمع:

أولاً: من آثارها على الفرد:

١- هداية العقل.
٢- سكينة النفس.
٣- استقامة السلوك.
٤- تقوية الأمل واستمرار العمل.
٥- الثبات في الشدائد.
٦- تعميق المسؤولية الفردية.
٧- الفوز في الآخرة.

ثانياً: من آثارها على المجتمع:

١- تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني.
٢- الإنضباط السلوكي والأمني.
٣- التكامل والتعاون الاجتماعي.
٤- العدالة في الحكم والقضاء.

---

(١)سورة الزمر: ١٠.
(٢)سورة الإنسان: ١٢.
(٣)سورة الرعد: ٢٤.

الخاتمـــة:

الحمـد لله رب العـالمين والـصلاة والـسلام علـى أشـرف الأنبيـاء والمرسـلين سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصـحبه أجمعـين ... وبعـد فهـذه الدراسـة للقـيم الخلقية وتحقيقها لمصلحة الفرد والمجتمع فأهم النتائج:

١- مكارم الأخلاق ضرورة دينية واجتماعية لها الأثر الإيجابي.
٢- الإسلام يدعو للأخلاق الفاضلة ويربطها بالعقيدة والشريعة.
٣- العدل في جميع المجالات متطلب لجميع المعاملات في المجتمع.
٤- الرحمـة والإخـاء والـصبر مـن القـيم الخلقيـة الهامـة التـي تحقـق مصلحة الفرد والمجتمع.
٥- للقيم الأخلاقية أثر كبير في التعامل بين الناس.

ولاتمام الفائدة فمن التوصيات لهذا البحث ما يلي:

١- ضرورة التوعية بكل الوسائل لتطبيق الأخلاق والقيم الإسلامية.
٢- ربط الأخلاق بالتعامل وأساس العقيدة الإسلامية.
٣- الحـرص علـى إنـشاء قـسم فـي الجمعيـات العقديـة لنـشر القـيم الخلقيـة وبيان ارتباطها بالناحية العقدية.

وفـي الختـام أحمـد الله تعـالى حمـداً طيبـاً مباركـاً، علـى عونـه وتوفيقـه لاتمـام هذا العمل، وأسأله سبحانه الإخلاص والقبول.

وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين وصـلى الله وسـلم علـى أشـرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

١- أخلاقنا في الميزان . د. فاطمة نصيف. دار المحمدي.
٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، بيروت: دار القلم، ١٣٩٩هـ.
٣- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع. محمد جميل زينو، الدمام، دار ابن القيم. ط١٥.
٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٥- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦- عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء الكتاب والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد السيد محمد اسماعيل الشربيني.
٧- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع. د. محمد بيصار. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٨- علم الأخلاق الإسلامية. د. مقداد بالجن. الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ.
٩- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ.
١٠- لمحات في الثقافة الإسلامية. عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة.

١١- معالم في السلوك وتزكية النفوس. جمع وإعداد: عبد العزيز آل عبد اللطيف دار الوطن للنشر.

١٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح عبد الله حميد، ط٤، جدة: دار الوسيلة.